تجذرت اصوله في تربة الحياة ، واضحت عريقة في نفوس الناس وتراثهم . ولما لم يكن في مخطط النازيين المحتلين طرد هذه الشعوب من اوطانها ، وهم لم يحاولوا ذلك ، فان الاحتلال بطبيعته لم يلامس اكثر من سطح حياتها ، وان خضخضها عاطفيا في اعماقها . وكان طبيعيا ان يهب الوطنيون في البلاد المحتلة لقيادة شعوبهم ضد المحتل ودعاياته ، وضد المتعاونين معه . وقد اخذ الشعراء الوطنيون في هذه الشعوب من ادوار الريادة ما اضفى على شعرهم ، وعلى « الكلمة » بوجه عام ، امجادا ستبقى الانسانية تفخر بها في سجل الخلود . وهكذا فان مفهوم شعر المقاومة في اوروبا يرتبط بظروف الحرب واحتلال النازيين والعمل السري في مقاومته ؛ فهو رفض لهذا الاحتلال ، وتعبئة لقوى شعوب شعرائه لدحره وانقاذ الاوطان من خزيه وويلاته . وقد وجد هؤلاء الشعراء انفسهم ضمن تنظيمات سرية ساهموا ولا شك في خلقها ، فعاشوا بين مواطنيهم روح المقاومة ، واكتوت ارواحهم بنارها ، وتحرقوا في أتونها ، فكان شعرهم ، يؤصله تراث ونهضة عريقان : اصالة فن ، وعمق اثر ، وصدق تجربة ، بحيث ادى دورا حاسما في المقاومة الوطنية ، ثم سجل في النهاية انتصاره مع انتصارها . وبلغ اثره بانتصاره ، وبجمعه اوروبا ، بل العالم ، على كراهة النازية ، حداً جعل مفهومه الخاص ، بحكم ظروفه ، يطغي على تفكير الكثيرين ، فيريدونه ، بخصوصيته ، ان ينسحب على كل ظرف وكل زمان . وقد ينضوي مفهوم هذا المصطلح فيما نسميه عندنا احيانا الشعر الوطني واحيانا اخرى الشعر السياسي او القومي ، مع بعض الفروق ضيقا أو اتساعا ، بحسب مقتضيات الحال ؛ اذ يتجلى كثير من عناصره وفحواه في شعر هذه الفترة او تلك من حياة الامة العربية الحديثة بخاصة ، وان لم يطلق عليه المصطلح نفسه بمفهومه الاوروبي المحدد ، الذي انتهى بلا شك ، بسحق الاحتلال الهتلري وغياب النازية .

ونحن نفهم المعنى المجرد والمطلق للمقاومة ، او ما يمكن ان يسمى على غرار تعريفات الأقدمين ، المعنى اللغوي للمقاومة . فادب المقاومة ، او شعر المقاومة ، هو ادب او شعر يقاوم شيئا ما ، او انه كل ادب حقيقي او شعر حقيقي يستشرف المستقبل في محاولة لتجاوز الواقع او رفضه او تغييره . ويرى بعضهم « ان كل ادب او شعر يتخذ من اسطورة « البعث » خامة فنية ورؤية فكرية يندرج تحت ادب المقاومة ، وان الادب كأدب هو في ذاته نشاط انساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي قد تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار » (١) .

والمقاومة ، في معناها المطلق ، ليست مقصورة على شكل محدد من اشكال العمل الوطني ، ولو كان الكفاح المسلح ؛ اذ تتعدد اساليبها بتعدد طبيعة ملاكات العمل الوطني ، ويتسع مدلولها ويتراخى بين الصمت في حينه وبين لهجة السلاح عندما يأخذ السلاح دوره ، مرورا بكل الوسائل التي يمكن ان يعتمدها المقاوم لاضعاف خصمه والتخلص منه ، بالقلم ، بالريشة ، بالازميل ، بالصوت ، بالعيون ، بالغناء ، بالرقص ، بالصخب والعنف وحتى بالهدوء والصمت ؛ فهو يتمدد على اوسع مساحة من امكانات التصرف الانساني الرافض لواقع ما ، من اقصى جوانب السلبية الى اقصى جوانب الايجابية . والفنان ، دائما ، ولأنه « جهاز الامان » في الأمة ، ولأنه شاهد العصر والضمير فيها ، هو المرهص بولادة روح المقاومة وبزوغ نبتها . والذي يهمنا ان نشير اليه حقيقة ، هو المفهوم الاصطلاحي للمقاومة وما وراءه من خلفية سياسية واجتماعية . ويمكننا ان نتلمس روح المقاومة العربية في شعر الحماسة والبطولة ،